٥ ـ أحمد رامي

« فى أغانيه »

للأستاذ دريني خشبة

منذ أن أخذ رامى فى نظم أغانيه المطربة الآنسة أم كلثوم والثورة على أشدها فى عالم الغناء المصرى ، بل عالم الغناء العربى كله . لقد كانت أغانى رامى حرباً بين القديم والجديد . انتهت بفوز الوجهة الجديدة التى وجه رامى أذواقنا إليها ، وإن وجد كثيرون من عشاق المذهب القديم لا يزالون يحنون إليه ويؤثرونه على هذا التجديد الذى لا يروقهم

وأغانى رامى ـ من حيث اللغة نوعان ... نوع التزم فيه اللغة الفصحى ، واختار له الديباجة المشرقة الناعمة السهلة ، والألفاظ العذبة الموسيقية التى لا تتضمن لفظة واحدة يصعب فهمها على الشخص العادى ... ونوع التزم فيه العامية المصرية القاهرية الساحرة التى يفهمها العالم العربى كله ، ويستملحها لحسن الحظ

وأغانيه ـ من حيث التكييف ... أو من حيث الروح ـ نوعان كذلك : نوع نلمس فيه قلب رامى ، ونحس فيه داءه القديم ، وحزنه المضنى المقيم ؛ ومعظمه مما نظم للآنسة أم كلثوم... ونوع نلحظ فيه بيان رامي ، وفنه ، ومقدرته الكبيرة المأثورة على التلوين والتظليل والتخطيط ، وإن لم نحس فيه نبضة واحدة من نبضات قلبه المحترق ، ولا طرفةً مفردة من طرفات جفنه المؤرق ، ومعظمه مما نظم لسائر المطربين غير الآنسة أم كلثوم ، وسبب ذلك واضح معلوم ، فقد كان صوت أم كلثوم اللهم الأكبر الذى أعاد إلى قلب رامى حياته الأولى :

حسبى من الشعر ومن نظمه ... صوتك يسرى فى مدى مسمعى
سلوى من الدنيا تعزّى بها ... قلب شديد الخفق فى أضلعى
سمعته فانساب فى خاطرى ... للشعر عين ثرّة المنبع[1]

* * *

وما ذروة المجد التى امتد دَرْبها ... على حرّة حَزن ووعر جبال
سوى روحة الأشعار وشّع سَرْحها
أفانين أفكارى وزهر خيالى
فى كل أفق ، فإذا بها مقبلة حية أن إيجاد الله ليس إلا بتوجيه الإرادة إليها ، فإذا هى كائنة

٥ — أما الصوفية المادية التى ندعو إليها ويسألنا عنها الأستاذ ؛ فقد سبق لنا أحاديث فيها بين تضاعيف مقالاتنا السابقة ، وبخاصة المقال الرابع من مقالات « أومن بالإنسان » وقد نشر بالعدد ٣٩٦ من هذه المجلة ، ومقال « الحياة صادقة » الذى نشر بالعدد ٢٠٦ من الثقافة

ولعل لنا إليها عودة بتوضيح آخر . والله يهدينا إلى اليقين ويفتح لنا من رحمته !

والسلام على جيرة بغداد العزيزة !

عبد المنعم خلوف

(١) نعتذر عن التصرف فى ترتيب الأبيات

إلى الأستاذ عبد الله زكريا الأنصارى — بالكويت

أشكر لك تحيتك وشكرك على ما تجده فى نفسك من صدى صادق لما أكتب . وأحمد الله إليك على ما وجدته فى مقال الأخير عن (وحدة الوجود) من معان أزالت آثار التشكيك فى العقيدة الفطرية . وليس لى مؤلفات إلا تلك الأوراق المنثورة فى المجلات !

منذ أن أخذ رامى فى نظم أغانيه المطربة الآنسة أم كلثوم والثورة على أشدها فى عالم الغناء المصرى ، بل عالم الغناء العربى كله . لقد كانت أغانى رامى حرباً بين القديم والجديد . انتهت بفوز الوجهة الجديدة التى وجه رامى أذواقنا إليها ، وإن وجد كثيرون من عشاق المذهب القديم لا يزالون يحنون إليه ويؤثرونه على هذا التجديد الذى لا يروقهم

وأغانى رامى ـ من حيث اللغة نوعان ... نوع التزم فيه اللغة الفصحى ، واختار له الديباجة المشرقة الناعمة السهلة ، والألفاظ العذبة الموسيقية التى لا تتضمن لفظة واحدة يصعب فهمها على الشخص العادى ... ونوع التزم فيه العامية المصرية القاهرية الساحرة التى يفهمها العالم العربى كله ، ويستملحها لحسن الحظ

القوانين المتضادة فى الطبيعة حتى يخرج منها « هرمونى » وتناسقاً عجيباً !

إذن فلا تجسيم ولا تشبيه ولا مخابر ولا معامل كيمياء وفيزياء ولا نظارات ولا قارورات ولا اتصال بسيط أو غليظ كما يتوهم الأستاذ . وإنما هى إرادة عالمة قادرة تقول للمعدوم « كن » فيكون !

لقد حكى القرآن الكريم أن إبراهيم عليه السلام سأل ربه : رب أرنى كيف تحيي الموتى ! قال أو لم تؤمن ؟ قال بلى ، ولكن ليطمئن قلبي . قال فخذ أربعة من الطير فَصُرْهنّ إليك « اذبحهن » ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ثم ادْعُهنّ يأتينك سعياً » وقد فعل إبراهيم فأتته ساعية من غير أن يرى شيئاً يجمعها ويركب أعضاءها ويهندس وضعها !

لقد توهم إبراهيم أن هناك « كيفية » للإحياء ، وأن هناك أدوات ووسائل للخلق والتكوين ، ولذلك سأل ربه سؤاله . ولكن تبين له بعد أن دعا أشلاء الطير المذبوحة المطروحة

وأنت بهذا الروض بلبله الذى يرجّع فى مغناه عذب مقالى
بعثتِ فنون الشعر فى فصحاتها وغنيتها لحن الهوى فحلا لى !

ونستطيع أن نسمى النوع الأول « أغانى الطبع » والنوع الثانى « أغانى الصنعة » ونقول إن معظم ما نظم رامي لأم كلثوم هو من أغانى الطبع ، ولا نقول كله لأنه نظم لها كثيراً من « أغانى الصنعة » التى طلب إليه نظمها من أجل أشرطتها السينمائية . وعلى ذكر الأشرطة السينمائية نلاحظ أن رامياً قد عوض حرارة أغانيه فيها بفنه الرفيع ، وبيانه الرائع ، ومقدرته على التلوين والتظليل والتخطيط كما قدمنا ، ثم باستغراقه ، فى مناسبات بديعة ، فى تصوير الطبيعة المصرية الفاتنة الساكنة ، والتعبير عنها ذلك التعبير الهيّن اللّين الذى تنعكس فيه أروع لوحات تلك الطبيعة الممتازة المليئة بالمفاتن . وليس معنى هذا أنه قصر تصوير تلك اللوحات على غير أغانى أم كلثوم ، ولكن معناه أنه خص الكثرة الغالبة من أغانى غيرها بأروع تلك اللوحات ، وإن أودع بعض أغانيها شيئاً ثميناً قيماً باللاحظة من تلك اللوحات

من منا لم يردد فى نفسه ألف مرة « لحن كروان » الذى نظمه رامى لشريط « دموع الحب » ؟ والذى مطلعه :

باللى بتنادى أليفك والفؤاد حيران عليه

ومن منا لم تأخذه مقدرة رامى الفنية فى تصوير الليالى المصرية المقمرة التى ينسكب فيها تغريد الكروان العاشق فيزيدها بهاء وروعة ؟!

كروان حيران سايح فى نور القمر
والصوت رنّان ملا الفضا وانحدر
والكون نعسان حتى الطيور الشجر
... ...
هايم ينادى حبيبه من غير ما يعرف فين
وان كان ح يسمع نجيبه تحتار تشوفه العين

وتتجلى فى هذا اللحن الخالد مقدرة رامى فى الانتقال من تصوير الطبيعة إلى بث الهوى وشكوى الهيام

أو هذا اللحن الذى مطلعه :

ما أحلى الحبيب بين الميّه وبين الأغصان

والذى يقول فيه :

آدى النسيم يشكى غرامه والغصن يسمع منه يميل
والطير يغنى وكلامه يخلى دمع الزهر يسيل
أسمع لُغَى الطير الشادى لما يغنى
اسمع حفيف الغصون تبكى بدمع الغمام
لما شجاها النسيم باحت بسر الغرام
والموج فى حضن الموج نايم على شط النيل
إن نبهه الطير العايم يشبع تقبيل
كل الوجود حب وشجن فى السر يشكى والعلن
تعالى واسى فؤادى أسقيك من كاس حنانى
واسمعك لحن حبى ونطير فى جو الأمانى !!

فهل رأيت هذا التمهيد الطويل من وصف الطبيعة المصرية لينتهى اللحن بهذا الرجاء الجميل فى البيتين الأخيرين

واسمعك لحن حبى ونطير فى جو الأمانى ؟!

ثم ذاك اللحن البديع الذى يصف الشاطىء المصرى فى جنة المصيف :

يا ما أرق النسيم لما يداعب خيالى
خلانى وحدى أهيم واسبح فى وادى آمالى
الجو رايق وصافى والبحر موجه يوافى
طال به الحنين للبر والبر عنه بعيد
فضيل يهيم فى البحر والشوق ف قلبه يزيد
ولما جا الشط الهادى رنّح جنبه
ووشوش الرمل النادى وشكى غلبه
والشمس عند الأصيل راخيه شعور الذهب
تسبى العيون
والنيم بلونه الجميل خلانى وحدى أهيم
واسبح ف وادى الأمانى

وهكذا نجد أن اللحن كله أغنية عذبة تنعم بها مصر المفتان على شاطىء البحر الأبيض . وإذا صح أن من كلام الشاعر كلمات تدل على شاعريته ، فكل كلمة من كلمات تلك الأغنية طابع قوى تشهد لرامى بالشاعرية الفريدة الفذة ... وحسبك أن تتخيل ذلك الموج الهائم فى البحر ، حتى إذا وصل إلى الشاطئ : رنّح جنبه ... ووشوش الرمل النادى !

ومن الصور القليلة البارعة التي ضمنها رامى إحدى أغانيه لأم كلثوم ، صورة الليل المصرى المقمر فى أغنية « أبات أناجى خيالك » ... كما نسمع الطبيعة المصرية بحقولها وأشجارها

وأطيارها وأنهارها تناديا أعذب النداء وأرقه فى أغنيات : يا ما نديت ... و ... فاكر ... و ... بكره السفر ، وفرحة القلب ، وليالى القمر ، ووداع ، ... ولكنها صور عارضة لا تستغرق الأغاني كلها ، كما نلاحظ فى الأغانى التى نظمت لغير أم كلثوم

ومن الصور الجيدة فى أغانى رامى تلك التى يبرز لنا فيها القلب الإنسانى فى شتى انفعالاته الغرامية ، وفى مواساته هو له ، كأنه صديقه الأول ... من ذلك تلك الصور الرائعة فى أغنيات : يا طول عذابى ، ومالك يا قلبى ، وإن كنت أسامح ، وسكت ليه يا لسانى ... ثم فى أغنية ، عنيّه فيها الدموع :

عنيّه فيها الدموع والجو ساكن وصافى
والقلب بين الضلوع حيران على خل وافى
طاير يهفهف جناحه عدم فى عشه الأمان
لا حد واسى جراحه ولا سقاه الحنـــان
لو كان مهنّى لبـات يغنّى
لكن حـزين شـدوه أنين
ينوح على الأغصان وحده ويشتكى لليل وجـده
... الخ ...

وأغانى رامى ... مثل شعره ... مليئة بالمعانى البكر التى لا نعرف أن أحداً سبقه إليها ، وهو مع ذاك يؤديها فى عذوبة ورقة متناهيتين ... من ذلك قوله فى أبدع أغانيه « ميعاد » :

... ... حرمت عينى الليل م النوم لاجل النهار ما يطمّنى
صعب علىّ أنام أحسن أشوف فى المنام
غير اللى يتمناه قلبى
سهـــرت أستناه واسمع كلامى معاه
وأشـوف خيـاله قاعـد جنبي
من كتر شوق سـبقت عمرى ! !
وشـــفت بكره والوقت بدرى ! ![1]

وإيه يفيد الزمن مع اللى عايش فى الخيال ... الخ

والأغنية كلها ـ على طولها ـ معان جديدة مبتكرة ، وإن لف الشعراء حولها أحياناً وداروا ....

وأعجب العجب فى أغانى رامى أن بينها وبين ملحنيها من فنانينا الأماثل وشائج تشبه وشائج القربى الروحية . إنهم جميعاً يفرحون بتلحينها لأن الشاعر الرقيق يفسح لهم فيها ، ويلونها لهم تلويناً يغازل عبقريتهم الموسيقية ، وينتقل بهم فى كل منها من الضرب العروضى الكامل ، إلى المشطور البديع المتألق ، ومن بحر إلى بحر ، ومن أوزان يخترعها اختراعا

وأعجب من هذا كله ذلك التجاوب التام المنتظم بين روح رامى وشعره ، وبين الذين يتغنون من كبار مطربينا . فلقد يخيل للانسان أن مؤلف شعر رامى وأغانيه ليس رامى وحده ، بل هم أولئك المطربون والمطربات والموسيقيون والملحنون جميعاً . إنه مجد كامل يحار الإنسان فى تعيين بانيه ، ولكن الذى شك فيه أن راميا هو واضع حجر الأساس فى ذلك البنيان المنيف الذى يتألف منه الغناء المصرى الحديث .

زكى طليمات

(١) اعتمدنا فى اقتباس الأغانى على المجموعة التى أصدرتها مكتبة النهضة سنة ١٩٤٢ ، وقد لاحظنا أن بعض المطربين كانوا يهملون فقرات من بعض الأغانى لا يغنونها .. وقاتل الله الجهل

وزارة المعارف العمومية

إدارة التوريدات

المناقصات العامـــة

إعلان مناقصـــة

تقدم العطاءات بعنوان حضرة صاحب العزة وكيل المعارف بشارع الفلكى بمصر بالبريد الموصى عليه أو بوضعها باليد بمعرفة مقدميه فى داخل الصندوق المخصص لذلك فى إدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم ١٤ ـ ١٠ سنة ١٩٤٤ عن توريد السيور والبودقات اللازمة للمدارس الصناعية لسنة ٤٤ ـ ٤٥

ويمكن الحصول على الشروط وقائمة المناقصة المذكورة من إدارة التوريدات بشارع الفلكى بمصر نظير دفع مبلغ ١٠٠ مليم ٢٥٨٦